حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٩ (عدد أكتوبر – ديسمبر ٢٠٢١)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الاتجاه الوصفي في كتاب مجالس ثعلب

خالد فالح السبيعي *

حاصل على الماجستير في اللغة والنحو من كلية الآداب– جامعة الكويت
aboabdallah078@gmail.com

المستخلص

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن الاتجاه الوصفي في كتاب مجالس ثعلب، وذلك من خلال البحث في المنهج الذي سار عليه مؤلفه عند تقعيده مسائل النحو والصرف، وملاحظة اتجاهاته اللغوية في الكتاب، وأثر مدرسة الكوفة في تلك الاتجاهات التي انتحاها، ودعم ذلك كله بنماذج مستقاة من كلام المؤلف، إضافة إلى بيان أن ثعلباً والكوفيين على وجه العموم كانوا يسيرون على كثير من أصول ما يعرف اليوم بالمنهج الوصفي؛ إذ إن واقع الدرس اللغوي في تلك الحقبة شاهد بأن الدراسات العربية قامت في كثير من فصولها على الوصف، بدءاً باستقراء المادة اللغوية من مصادرها الأصلية " السماع – المشافهة " ثم استنباط القواعد الكلية والجزئية منها.

الكلمات المفتاحية:

اتجاهات، الوصفي، ثعلب ، نحو، منهج ،سماع

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢١.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد اهتم النحاة الأوائل في عصر نشأة النحو بوصف اللغة العربية، وتقريرها على نحو المسموع من العرب، وبخاصة الكوفيون منهم، فقد كان من أبرز خصائص منهجهم التمسك بظاهر الشواهد اللغوية، والبعد عن التعليل الفلسفي والقضايا المنطقية البعيدة عن روح اللغة[1]، ولعل أصدق شاهد على ذلك قولُ الكسائي عندما سُئِل في مجلس يونس بن حبيب عن قولهم: **(لأضربَنَّ أيُّهم يقوم)** لِمَ لا يقال: **(لأضربَنَّ أيَّهم)** فقال: **(أيّ هكذا خلقت)**[1]. وعلى الرَّغم من ذلك فقد وجّه أصحاب المنهج الوصفي المعاصر انتقادات واسعة لتراثهم النحوي، ووسموه بالمعيارية، وبأنه لا يُمَثِّل نظرةً صحيحة للغة العربية، وطالبوا بإعادة النظر في دراستهم للغة؛ لأنهم لم يكونوا يتناولون اللغة بطريقة وصفية[2].

***أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:**

أولا: رغبتي أن أُسهم في إبراز ملامح الاتجاه الوصفي في تراثنا النحوي، وبخاصة عند الكوفيين، ولذلك وقع اختياري على كتاب «مجالس ثعلب» ليكون محلا لدراستي في هذا البحث.

ثانياً: أن هذا الكتاب لم ينل اهتماما في هذا الجانب على الرغم من احتوائه على عدد غير قليل من مسائل النحو والصرف.

***الدراسات السابقة:**

خصصت الدراسات اللغوية العربية جانبا كبيرا من بحوثها وكتابتها لقضية المناهج لما لها من قيمة علمية في البحوث اللسانية. فمن الدراسات التي تناولت ملامح المنهج الوصفي في تراثنا النحوي كتاب «الكوفيون في النحو والصرف، والمنهج الوصفي المعاصر» للدكتور عبدالفتاح الحموز، وكتاب «المنهج الوصفي في كتاب سيبويه» للدكتور نوزاد حسن أحمد.

***منهج الدراسة:**

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي، الذي يناسب طبيعة هذا الموضوع، إذ يسمح لي بوصف وتحليل كتاب "مجالس ثعلب". كما سرت على المنهج التاريخي في معالجة بعض قضايا البحث التي تطلبت تتبع مساراتها التاريخية.

***إشكالية الدراسة:**

أما إشكالية هذا البحث فسيقت على النحو التالي:

ما طبيعة التطبيقات الوصفية في كتاب "مجالس ثعلب"؟

ولأجل الإجابة عن هذا السؤال اتخذ البحث الخطة التالية:

*** خطة البحث:**

قمت في هذا البحث بإثبات ما وقفت عليه من ملامح الاتجاه الوصفي في كتاب "المجالس"، وتناولتها بالتوضيح والمناقشة، وضربِ الأمثلة عليها من كلام المؤلف. وتحتوي خطة البحث على: مقدمة، وثلاثة مباحث، ثم الخاتمة، ثم الفهارس العلمية

المقدمة، وتتضمن: أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج الدراسة في هذا الموضوع. وقد جاءت خطته على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث:

مطلب: ما المقصود بالمنهج الوصفي؟ ومتى ظهر؟
المبحث الثاني: الاتجاه الوصفي في جمع المادة العلمية:
المطلب الأول: السماع
المطلب الثاني: اللهجات العربية
المطلب الثالث: اللغة المنطوقة
المبحث الثالث: الاتجاه الوصفي في تقعيد المادة اللغوية وتصنيفها:
المطلب الأول: الاستقراء والتقعيد
المطلب الثاني: التعليل
المطلب الثالث: التصنيف
الخاتمة وفيها أهم النتائج:
هذا، وأسأل الله –تبارك وتعالى– التوفيق والسداد وبلوغ الغاية، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

- **مطلب: ما المقصود بالاتجاه والمنهج الوصفي:**

الاتجاه في اللغة: قال ابن فارس: "الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة لشيء. والوجه مستقبل لكل شيء.[...] والوجهة: كل موضع استقبلته. قال الله –تعالى–: ﴿ ﴾ [البقرة: ١٤٨] . ووجهت الشيء: جعلته على جهة"[٣]، ولا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

المنهج الوصفي: هو: "ذلك المُنحنى من الدراسات اللغوية الذي يقوم بدراسة لغة معينة من حيث ملامحها الصوتية ونحوها ومفرداتها في حقبة زمنية محددة[٤]: وقد يكون هذا أقرب للدراسة العلمية التي تتميز بها اللسانيات، حيث "تتمثل أول مهمة للسانيات في وصف كل وقائع اللغة التي يمكن ملاحظتها»[٥]. وقد ظهرت أولى بوادرُ هذا المنهج على يد العالم اللغوي دي سوسير حيث يعود إليه الفضل في بيانه وإظهار منافعه في الدرس اللغوي.

المبحث الثاني: الاتجاه الوصفي في جمع المادة العلمية

- **المطلب الأول: السماع:**

يعد السماع من أهم أسس المنهج الوصفي في اللغة؛ إذ إنَّ كل الخطوات التالية له مفتقرة إليه، وقد عُرف الكوفيون بالاحتفاء بالسماع وتقديمِه على ما سواه؛ فقد كانوا أهل رواية للأخبار والأشعار والقرآن بقراءاته. وكل تلك العلوم معتمدة على التلقي والعرض، ولا اجتهاد فيها. ولعل هذه البيئة العلمية جعلتهم أكثر اهتماما بالسماع[٦].

وقد اتبع ثعلب طريقة شيوخه الكوفيين في ذلك، فاهتم بمسألة السماع في مجالسه اهتماما واضحا، وقد تعددت مصادره بين السماع المباشر من أفواه العرب، أو الأخذ عن شيوخه الذين سمعوا منهم، كل ذلك حرصا منه على جمع مادة لغوية واسعة مسموعةٍ عن العرب.

فتراه في بعض المواضع يصرح بأخذه المباشر من أفواه العرب بمثل قوله: "سمعتُ العرب تقول: (اضرب الوَجِهْ، وهذا الوَجِهْ، وفررت من الوَجِهْ)"[٦] وكذلك في موضع آخر يصرح بسماعه المباشر منهم فيقول: "سمعت العرب تقول..."[٧].

وكذلك فإنه قد يَنْسُب القولَ للعرب دون تصريح بالسماع المباشر منها أو يُشِير إلى واسطة بينه وبينهم؛ وذلك في نحو قوله: "العرب تقول: (عَجِبْتُ من قراءةٍ في الحمام القرآنَ)"[٨] ونحو ذلك من المواضع[٩].

وإضافة إلى ذلك فقد اعتمد ثعلب في تدوينه للغة العربية على ما يعرف في المنهج الوصفي باسم «الراوي اللغوي» أو «مساعد البحث»، وهو إنسان بعينه ممن نشأوا في بيئة تستعمل اللغة المدروسة، يعده أصحاب المنهج الوصفي ممثلا صادقا لكيفية نطق تلك اللغة. وقد اشترطوا فيه شروطا أو رأوا من الأفضل أن توجد فيه؛ وذلك نحو: كونه أميّاً لا يقرأ ولا يكتب حتى لا تؤثر الثقافة الطارئة على طريقة نطقه للغته، وكذلك رأوا أنه من الأفضل عدم خروجه وسفره من البيئة التي تستعمل لغته حتى لا يطرأ تَغَيُّرٌ على نطقه بسبب الاحتكاك بالآخرين ممن لا يتكلمون بلسانه[١٠]. وقد اعتمد ثعلب على ذلك في مواضع، منها قوله: "وسمعتُ أعرابياً يقول: (هل أنت ساكت؟) أي اسكت"[١١] وقوله في موضع آخر: "وسمعتُ بعض العرب يقول: (كَلَ اللهِ لآتينك)"[١٢].

ولم يَكْتَفِ ثعلبٌ بسماعه المباشر من أفواه العرب، بل كان يعتمد كذلك في جمع المسموع عن العرب على شيوخه الذين تلقى عنهم، فكان يعتمد في اللغة على ابن الأعرابي، وذلك في مواضع كثيرة من مجالسه[١٣]، نحو قوله: "قال ابن الأعرابي: سألت العرب: أيُّ شيءٍ معنى شَيطان لَيْطان؟ قالوا: (شيءٌ نَتِدُ به كلامَنا) نشُذُّه"[١٤]، ويعتمد كذلك في النحو على شيخه سلمة بن عاصم تلميذ الفراء، فيَنْقُل عنه ما سَمِعه من شيوخه في مثل قوله: "قال سلمة: سمعتُ الفرَّاء يحكي عن الكسائي أنه سَمِع: (اسقني شربة ماً يا هذا) يريد شربة ماء، فقَصَرَ وأخرجه على لفظ «مَن» التي للاستفهام"[١٥].

وبالجملة فقد كان ثعلب يهتم بمسألة السماع –كما ظهر ذلك في "مجالسه"–إيمانا منه بأهميتها في وصف الظواهر اللغوية.

- **المطلب الثاني: اللهجات العربية:**

لم يلتزم النحاة القدماء فصلَ كلِّ لهجة من لهجات العربية عمّا سواها، ودراستَها دراسة مستقلة عن نظائرها، ولذلك فقد وجّه الوصفيون الانتقادات لهم لعدم التزامهم ذلك، ورأوا أنهم "يعمدون إلى لهَجات متعددة من نفس اللغة فيخلطون بينها، ويحاولون إيجاد نحوٍ عامٍّ لها جميعا"[١٦] وهذا في نظرهم خَلْط بين الأنظمة اللغوية المختلفة. لكن يمكن أن يُعتَذر للنحاة بأن الذي حملهم على ذلك ارتباطُ بحثهم اللغوي بخدمة لغة القرآن الكريم الذي جمع العرب على لغة واحدة، فرأوا أنّ اللَّهَجاتِ العربية كلَّها تصبُّ في خدمة تلك اللغة، فلم يفصلوا بينها في البحث[١٧].

وعلى نحو منهج النحاة سار ثعلب، إلا أنه كان يورد بعض لغات العرب منسوبة لأصحابها، ويوجّه بعض التراكيب التي قد تستنكر بأنها لغة من لغاتهم؛ فمن ذلك عرضه للاختلاف بين لغتَي أهل الحجاز وبني تميم في نحو قوله: "ويقال: (هو هَدِيٌّ لبيت الله) وأهلُ الحجاز يخفّفون، وتميم تثقّله"[١٨] ومن الخلاف الذي أورده عنهم –أيضاً–قوله: "إنما قالوا: (ما عبدُالله قائماً) وهو قول أهل الحجاز، وقد جاء القرآن:﴿مَا هَذَا بَشَرًا ﴾، وبنو تميمٍ يرفعون فيقولون: (ما زيدٌ قائمٌ)"[١٩].

وقد تعرض كذلك للغات قبائل أخرى مثل: ربيعة، وهوازن، وقيس، وضبّة، وبهراء[٢٠]، والأزد[٢١]، وطيّء في مواضع عدة من "مجالسه"[٢٢]؛ فمن تلك المواضع قوله بعدما ما أورد قول الشاعر:

إذا قال قَطْني قلت آليتُ حَلْفَةً لِتُغْنِيَ عَنّي ذا إنائِك أجْمَعا

قال: "ويروى: (لتُغْنِنَّ) وهذا إنما يكون للمرأة، إلا أنّه في لغة طيّ جائزٌ، وفي لغة غيرهم: (لتُغْنِيَنَّ)"[٢٣].

وقد يذكر كذلك اللغة من لغات العرب دون نسبتها إلى قوم بأعيانهم؛ فمن ذلك قوله: "تأيَّيت عليه، أي انتظرته. وقال: هذه لغةٌ، وبعضهم يقول: تأنَّيت عليه؛ وهي أكثرهما"[٢٤]، ومن ذلك أيضاً توجيهه لثبوت نون الأمثلة الخمسة مع دخول «أن» عليها بأنها لغة من لغات العرب تشبّه فيها «أنْ» بـ «ما»[٢٥] فقال في قول الشاعر:

"أن تقرآن على أسماءَ وَيْحَكُما مِنّي السلامَ وأن لا تُخبرا أحَدَا

قال: هذه لغة، تشبه بـ «ما»"[٢٦] ونحو ذلك[٢٧].

● **المطلب الثالث: اللغة المنطوقة:**

لقد اهتم المنهج الوصفي الحديث باللغة المنطوقة اهتماما واضحا، وجعلها محلَ البحث اللغوي معلّلاً ذلك بأن الظواهر اللغوية والتغيرات التي قد تطرأ على الكلام تظهر عليها بشكل أوضح وأدق[٢٨].

وقد ظهر هذا الملمح الوصفي عند ثعلب في "مجالسه"، فقد كان يعتمد على اللغة المنطوقة في رصد بعض الظواهر اللهجية التي لا تدرك إلا عن طريق النطق كالعنعنة، والتلتلة[٢٩]، والعَجْرَفِيَّة[٣٠]، والتَّضَجُّع[٣١]، والكَشْكَشة، والكَسْكَسة[٣٢]؛ فمن ذلك قوله: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عَنعنة تميم، وكَشْكَشة ربيعة، وكَسْكَسة هوازن، وتَضَجُّع قيس، وعَجْرَفِيّة ضبَّة، وتلتلة بهراء. فأما عنعنة تميم فإنّ تميماً تقول في موضع «أنّ» «عَنّ» تقول: (عَنَّ عبدَالله قائمٌ) قال: وسمعتُ ذا الرُّمة يُنشِد عبدالملك:

أعنْ تَرَسّمْتَ من خَرقاء منزلةً

قال: وسَمِعْتُ ابن هَرْمة يُنشد هارون، وكان ابن هَرْمة رَبِيَ في ديار تميم:

أعَنْ تَغَنَّتْ على ساقٍ مطوَّقةٌ وَرْقاءُ تدعو هَدِيلاً فوق أعوادِ

وأما تلتلة بهراء، فإنها تقول: تِعلَمون، وتِعقلون، وتِصنَعون، بكسر أوائل الحروف"[٣٣].

وقد روى كذلك في مجالسه أبياتا عن ابن الأعرابي على لغة الكشكشة، توضح مدى اهتمامه باللغة المنطوقة وتلقيه لها عن طريق السماع؛ إذ بالتلقي تدرك الظواهر اللغوية، وما قد يطرأ على اللغة من تغيرات، يقول ثعلب: "وأنشدني ابن الأعرابي:

عليٌ فيما أبتغي أبْغِيأش بيضاءَ تُرضِيني ولا تُرضِيش
وتَطَّيبي وُدَّ بني أبيش إذا دنَوتِ جعلتْ تُنئِيش
حتى تَنقَو كنقيق الدِّيش

قال: يجعلون مكان الكاف الشين، وربما جعلوا بعد الكاف الشين والسين، يقولون: إنّكِش وإنَّكِس. قال: وهذه الكشكشة والكسكسة المشهورة، وهي الكاف المكسورة لا غير، يفعلون هذا توكيداً لكسر الكاف بالشين والسين، كما يقولون: ضَرَبْتِيه وضَرَبْتِه، لقرب الهاء منها"[٣٤].

كما تطرق لبعض قضايا الإعلال والإبدال والوقف والتخفيف[٣٥]؛ فمن تلك القضايا التي عالجها قوله: "وإذا جاء بالهمز في (لواء) قال: (لِواءٌ) وإذا ترك الهمز، قال الفراء: يكون بالياء. وقال الكسائي: يجوز أن يرد إلى الواو (هذا عطاؤُك) بالإشارة إلى الواو (وأخذت من عطايك) بالإشارة إلى الياء. ويجمعون بين ياءَين في النصب (أخذت عَطايَيْك) ثم جعلوا ألف النصب بمنزلة الإضافة فصيَّروها بالياء"[٣٦].

المبحث الثاني: الاتجاه الوصفي في تقعيد المادة اللغوية وتصنيفها

● **المطلب الأول: الاستقراء والتقعيد:**

من أهم أسس المنهج الوصفي الاستقراء والتقعيد؛ إذ هما "طريقان من طرق الوصف في دراسة اللغة، يتوسط بينهما عمل ثالث هو التقسيم، ثم تسمية كل قسم من الأقسام الناتجة"[٣٧].وبهذا العمل يُكشف عن القواعد التي تسير اللغة على وَفقها. وقد كان ثعلب في مجالسه يُقَعِّد المسائل بطريقة وصفية متمسكاً بظاهر الشواهد اللغوية، ولا يلجأ إلى تكلّف التأويل والتقدير فيها، واختياراته في مجالسه شاهدة على ذلك؛ فمن ذلك: إجازته

الفصل بين المضاف والمضافِ إليه المفعولِ به بالجار والمجرور، والظرف مطلقاً؛ فيقول في قول الشاعر:

لما رأت ساتِيدَما استَعْبَرَتْ لله دَرُّ اليومَ مَن لامَها

"اعترض بـــ (اليوم) بين (درّ) و(مَنْ). وقال:

فَزَجَجْتُها متمكِّناً زجَّ القلوصَ أبي مَزادَه

وأنشد بعضهم:

زَجَّ الصِّـــعـــابَ أبـــي مَـــزادَه

أراد: زجَّ أبي مزادة الصِّعابَ، ثم اعترض بالصِّعاب"[٣٨].

والخلاف بين البصريين والكوفيين مشهور في هذه المسألة[٣٩]، ولكل واحد من الفريقين حججه التي ينصر بها قوله، إلا أنّ قول الكوفيين–ومنهم ثعلب–موافق لظاهر الشواهد اللغوية، بعيد عن تكلف التأويل والتقدير فيها، وهذا الملمح عندهم هو جوهر المنهج الوصفي.

● **المطلب الثاني: التعليل:**

لم يتأثر ثعلب بالقضايا المنطقية في تقريراته ومناقشاته العلمية التي وردت في "مجالسه"، بل على العكس من ذلك فقد كان همُّه مُنْصَبّاً على وصف اللغة وتقريرها على نحو المسموع عن العرب. ولعلّ من أوضح الأمثلة على ذلك مناقشته للمازني في المسألة الآتية حيث يقول: "وقال المازني في قول الشاعر:

فكَفى بنا فضلاً علـى مَـنْ غَيْرنـا حـبُّ النبـيِّ محمـدٍ إيّانـا

وإنما تدخل الباء على الفاعل، وهذا أيضاً شاذٌّ أن تدخل الباء على الفاعل. ولكن قد حُكِي هذا على المفعول.

قال أبو العباس: وكل هذا غلط، العرب تقول كفى بزيد رجلاً، ونعم بزيد رجلاً، ونعم زيد رجلاً. وحكى الكسائي عن العرب: مررت بأبيات جاد بهن أبياتاً، وجاد أبياتاً، وجُدْن أبياتاً، ثلاث لغات. وكذا مررت بقوم نعم قوماً، ونعم بهم قوماً، ونِعِمُّوا قوماً. وهذا كثير في كلام العرب. لا يقال شاذّ"[٤٠]، فأنت ترى ثعلباً لم يناقش المازني في أصوله التي بنى عليها قوله، ولم يهتم بتحليل المسألة وتأصيلها، وإنما اكتفى من ذلك كله بالتعويل على السماع، وكون ذلك من كلام العرب، وقد عرى كلامه في هذه المناقشة عن شائبة الفلسفة والمنطق، وقد علّق الدكتور مهدي المخزومي على المسألة السابقة في كتابه «مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو» بقوله : "فلم يُعْنَ ثعلب في هذه المسألة بالأصول الموضوعة التي تمسك بها المازني، ووصف قول الشاعر من أجلها بالشذوذ، وإنما راح يؤيد قول الشاعر بلغات مسموعة من العرب رواها هو، أو سمعها وسمعها الكسائي، واعتبر وجودها رداً على المازني، ولم نلمس في ردّه أثرا لمنطق، ولا ظلا لفلسفة، وإنما هو المسموع، والمسموع وحدَه"[٤١].

وهذا المنهج الذي يسير عليه ثعلب قد انتهجه شيوخه الكوفيون من قبله؛ إذ المشهور عنهم أنهم يجنحون في تقريراتهم إلى حمل الكلام على ظاهره، والابتعاد عن التقدير، والتأويل، وعن كلِّ ما يجافي روح اللغة؛ فكانت أصولهم النحوية والصرفية منطلقة من الشواهد اللغوية التي جمعوها، موافقة لروح اللغة ونظامها التي بنيت عليه، خالية من القضايا الدخيلة عليها[٤٢].

وعلى الرَّغم من خلو تقريرات ثعلب من شوائب الفلسفة والمنطق وسَيْره على منهج الكوفيين إلا أنه وردت في مجالسه بعض التعليلات للظواهر اللغوية، ولكنّ تلك التعليلات كانت قريبة المأخذ نابعة من روح اللغة؛ فمن ذلك تعليله حذف العرب الهمز في نحو: (أكْرَمَ-يُكْرِم) استثقالا لكثرة استعمالهم إيّاه، وذلك في قوله: "(فاعَلْتُ، وفَعْلْتُ، وأفْعَلْتُ) كله يجيء بالضم في الاستقبال، فيقولون: أفْعَلَ ويُفْعِلُ فيحذفون الهمز استثقالاً، وربما جاءوا بالأصل كقول الشاعر:

وصالِياتٍ كَكما يُؤْثَفَيْنَ"[٤٣]

ويرى الدكتور عبدالفتاح الحموز في كتابه «الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر» أنّ مثل ذلك لا يُعَدُّ خروجا عن المنهج الوصفي، بل هو شاهد على احترام طبيعة اللغة، وتَمَسُّكٌ بظاهر نصوصها، وابتعادٌ عن التكلف والتمحّل في إيجاد بعض العلل البعيدة عن روحها[٤٤].

ومن ذلك أيضاً تعليله بالعِوَض أو النيابة في قوله: "أجزته إجازة وأقمته إقامة، جاءوا بالهاء عوضاً ممّا ألقوا"[٤٥]. ومراده أنه كان أصل الكلمة (إقْوَاماً) فنقلت حركة الواو إلى القاف التي قبلها، ثم حذف الواو، وناب عنها تاء التأنيث فصارت (إقامة). وهذه العلة وإن كان فيها توهمٌ لأصل مفترض إلا أنها مبنية على استقراءٍ لشواهد المسألة، وقد رأى الدكتور عبدالفتاح الحموز -كذلك-أنّ تلك العلة "لا تخرج عن روح اللغة وطبيعتها على الرَّغم ممّا يتراءى من التوهم؛ لأنهم قد توصلوا إليها من خلال رجع النظر في كلِّ ما سمعوه من العرب"[٤٦]، ولم يقتصر الأمر على هاتين العلتين فقد كان ثعلب -أيضاً- يُفَسِّر بعض الظواهر اللغوية في "مجالسه" بما لا يخرج عن روح اللغة العربية [٤٧].

● **المطلب الثالث: التصنيف:**

من أسس المنهج الوصفي أن يقتصر النشاط البحثي على مجرد الملاحظة والوصف، وتسجيل ما يُلحَظ من الظواهر اللغوية بطريقة وصفية دون تَدَخُّلٍ من الباحث[٤٨]، وإذا نظرتَ في مجالس ثعلب تجد أنّ ثعلبا -رحمه الله- قد سار على مثل تلك الطريقة، ولبيان ذلك انظر إلى طريقة وصفه للغة في النماذج الآتية:

١. "الآلات يفرقون بينها وبين المصادر، فمِبْرَد اسم، وهو آلة، وهو مثل مِقْعَل، ومثله مِثْقَب ومِثْقَر، ولم يجئ الضمُّ إلا في مُسْعُط، ومُكْحُلة، ومُدْهُن؛ والمصادر تُقال بالفتح"[٤٩].

٢. "العرب تقول: حَبّذا، وحبذا لا يثنَّى ولا يجمع، ومعناه حب الشيء ذا، حب الشيء زيد، ونعم الشيء زيدٌ، ونعم الشيء الزيدان.

وأنشد:

يا حبذا أنت إذا جئت ملا وكل دلوٍ منك يروي جملا"٥٠

٣. "والعرب تقول: ضَخْمَة وضَخْمَات، وعَبْلَة وعَبْلَات، فلا يحرِّكون النعوت. ويحرّكون الأسماء، فيقولون: تَمْرة وتَمَرات، فحركوا الأسماء وسكنوا النعوت"[٥١].

٤. "إذا كان فَعِل يفعَل فالمصدر منه مَفْعَل مفتوح، كبر يكبَر مَكْبَراً، وعَمِل يعمَل المَعْمَل. قد يقال مَكْبرٌ وهو قليل" [٥٢].

يُلحظ في النماذج السابقة من كلام ثعلب أنه كان يعبر عن حالات لغوية رصدها في أثناء بحثه في اللغة، لا عن موقفه هو من تلك الحالات، فقد كان يكتفي في تلك النماذج بمجرد وصف المادة اللغوية دون استعمال أي عبارة ذات طابع معياري كالنص على

جواز شيء أو عدم جوازه، أو نحو ذلك من العبارات، وتلك السمة السابقة في كلامه من صميم المنهج الوصفي[٥٣].

الخاتمة وأهم النتائج

وبعد دراسة الاتجاه الوصفي في كتاب "مجالس ثعلب" على النحو المتقدم، ومقارنة النتائج التي توصل إليها الباحث بما هو مقرر في المنهج الوصفي المعاصر ظهرت للباحث النتائج الآتية:

١- اهتمام ثعلب بالسماع إما بالأخذ المباشر عن العرب، أو بواسطة من سمع منهم، وكذلك اهتمامه باللغة المنطوقة، ورصدُه بعض الظواهر اللغوية التي تدرك عن طريق السمع، وكل تلك الملامح تُعَدُّ من ملامح الاتجاه الوصفي في كتابه.

٢- إثبات ثعلب للغات بعض القبائل العربية منسوبة لها، بل واعتمادُه عليها في توجيه بعض التراكيب التي قد تستنكر، إلا أنه لم يفرد تلك اللغات بالدراسة كما هي طريقة المنهج الوصفي.

٣- ظهر من خلال البحث ميلُ ثعلب لتقعيد الظواهر اللغوية بطريقة وصفية، وبعدُه عن التعليل المنطقي والقضايا الفلسفية البعيدة عن روح اللغة العربية، وتقييدُه تلك التقريرات بعبارات وصفية مُجتَنِباً بذلك اللغة المعيارية التي تعتمد على مبدأ الصواب والخطأ.

Abstract

Descriptive direction In the Book of the Councils of Fox

By Khaled Faleh Subaie

This research seeks to uncover the descriptive trend in the Book of the Councils of Fox, by looking at the method followed by the author when he raised questions of grammar and syntax, and note the linguistic trends in the book, and the impact of the Kufa school in those trends that have emerged, The words of the author, in addition to the statement that Thalba and the Kosovars in general were walking on many of the origins of what is known today descriptive approach; the fact that the lesson in that period saw that the Arab studies in many of the chapters on the description, beginning to extrapolate the linguistic material from its sources Original "السماع – المشافهة" And then devise the rules of total and partial ones.

key words:

Orientation, descriptive, fox, approach, hearing

الهوامش

١- انظر دروس في المذاهب النحوية: ٩٠، ٩. والنحو العربي والدرس الحديث: ٥٥.

٢- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢/ ٣٢٠.

٣- انظر اللغة بين المعيارية والوصفية، أ.د/ تمام حسان، الناشر: عالم الكتب، القاهرة ، مصر، طبعة،٢٠٠١م.

٤- مقاييس اللغة: ٦/ ٨٩.

٥- انظر مناهج الدرس النحوي في العالــم العربي في القرن العشرين: ١٩٥ص.

٦- انظر اللسانيات: ص٧.

٧- انظر دروس في المذاهب النحوية: ٨٩، ٩٠. فقد أشار الدكتور عبده الراجحي إلى أن علم القراءات هو الذي طبع نحاة الكوفة على الاهتمام بالسماع إذ قال: "من هنا نستطيع أن نفهم ما يقرره مؤرخو النحو من أن الكوفة توسعت في الرواية، وبأنها كانت تعتمد المثال الواحد لتجعله ظاهرة عامة بحيث تستخرج منه القاعدة التي تراها صالحة للاستعمال". دروس في المذاهب النحوية: ٩٠.

٨- مجالس ثعلب: ٢/ ٥٥٣

٩- مجالس ثعلب: ٢/ ٥٩٠.

١٠- مجالس ثعلب: ١/ ٢٠٧.

١١- انظر: ١/ ١٨١، ٢١٦، ٢٢٨، ٢/ ٥٥٧.

١٢- انظر اللغة العربية بين المعيارية والوصفية: ١٥٣.

١٣- مجالس ثعلب: ٢/ ٥٨٨.

١٤- مجالس ثعلب: ١/ ٣٢٣. وانظر كذلك: ٢/ ٥٦٥.

١٥- انظر مقدمة محقق مجالس ثعلب: ١٠.

١٦- مجالس ثعلب: ١/ ٧. وانظر –أيضاً–المواضع الآتية: ١/ ٢٣، ٣٥، ٧٠، ٧٢، ٢/ ٥١٦، ٥١٨، ٥٦٩.

١٧- مجالس ثعلب: ١/ ٨٧، ٨٨.

١٨- اللغة العربية بين المعيارية والوصفية: ٣٢. بتصرف يسير. وانظر –أيضاً–في نحو اللغة وتراكيبها: ٣٠.

١٩- انظر المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: ٥٢.

٢٠- مجالس ثعلب: ٢/ ٥٧٨.

٢١- مجالس ثعلب: ٢/ ٥٩٦. وانظر -أيضاً-: ١/ ٧٣، ٢/ ٣٥٤.
٢٢- انظر -للقبائل السالف ذكرها-مجالس ثعلب: ١/ ٨١.
٢٣- حيث علّق في مجالسه على قول الأخفش في: "(قام امرجل) يريد الرجل" بقوله: "هذه لغة للأزد مشهورة" وقد تعقبه المحقق بأن المعروف أنها لغة طيء. انظر مجالس ثعلب: ١/ ٥٨
٢٤- انظر مجالس ثعلب: ٢/ ٤٩٦، ٥٣٩، ٥٦٦
٢٥- مجالس ثعلب: ٢/ ٥٣٨، ٥٣٩. بتصرف.
٢٦- مجالس ثعلب: ٢/ ٤٩٥، ٤٩٦.
٢٧- انظر مغني اللبيب: ١/ ١٨٣.
٢٨- مجالس ثعلب: ١/ ٣٢٢.
٢٩- انظر مجالس ثعلب: ١/ ٢٧٣.
٣٠- علم اللغة العام: ٤٣.
٣١- وسيأتي تفسيرهما في كلام ثعلب.
٣٢- جاء في لسان العرب ٩/ ٢٣٤: "قال ابن سيده وعجرفية ضبة أراها تقعرهم في الكلام".
٣٣- يقول محقّق الكتاب: "والتضجع لم أجد من فسره، ولكن اشتقاقه يوحي بأن معناه الإمالة" ونقل من لسان العرب ما يعضد قوله. مجالس ثعلب: ٨١.
٣٤- وسيأتي تفسير الكشْكشة والكسْكسة من كلام ثعلب قريباً.
٣٥- مجالس ثعلب: ١/ ٨٠، ٨١.
٣٦- مجالس ثعلب: ١/ ١١٦، ١١٧.
٣٧- انظر قراءة في مصادر الدرس الصوتي عند الكوفيين: ١٠٣، ١٠٤. وانظر -على سبيل المثال- مجالس ثعلب: ١/ ١٠٥، ٣٠٨، ٢/ ٤٨٦، ٥٦٠.
٣٨- مجالس ثعلب: ١١٩.
٣٩- اللغة العربية بين المعيارية والوصفية: ١٤٩.
٤٠- مجالس ثعلب: ١/ ١٢٥، ١٢٦.
٤١- انظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/ ٤٦٣-٤٧٤.
٤٢- مجالس ثعلب: ١/ ٢٧٣.
٤٣- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ١٥٤.
٤٤- انظر الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر: ٧.
٤٥- مجالس ثعلب: ١/ ٣٩. وانظر-أيضاً-: ٢/ ٥٢٧.
٤٦- انظر الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر: ١٤٣.
٤٧- مجالس ثعلب: ١/ ١٦٩.
٤٨- الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر: ١٤٤.
٤٩- انظر مجالس ثعلب: ١/ ٢٤٩، ٢/ ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٨.
٥٠- انظر اللغة العربية بين المعيارية والوصفية: ٢٤، ٢٥. وقد خالف ثعلب ذلك في مواضع أخرى من مجالسه كما سبق بيانه.
٥١- مجالس ثعلب: ٢/ ٥٤٥.
٥٢- مجالس ثعلب: ٢/ ٥٥٧.
٥٣- مجالس ثعلب: ٢/ ٥٢٧.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات ابن الأنباري، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٦١م.
٢- التأليف النحوي بين التعليم والتفسير، تأليف: د. وضحة عبدالكريم الميعان، مكتبة دار العروبة، الكويت، ٢٠٠٧م.
٣- دراسات في علم اللغة التاريخي والوصفي والمقارن، صلاح الدين بو خاطر حسنين، الطبعة الأولى، الرياض، دار العلوم ١٩٨٤م.
٤- دروس في المذاهب النحوية، للدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.
٥- سلم الوصول إلى طبقات الفحول مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركي، ٢٠١٠م.
٦- علم اللغة العام، تأليف: فرديناند دي سوسور، ترجمة: د. يوئيل يوسف، أفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.
٧- في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، للدكتور خليل عمايرة، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
٨- قراءة في مصادر الدرس الصوتي عند الكوفيين، بحث مقدم من: محمد حسين وعباس علي، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الرابع، العدد الثاني، حزيران-يونيو، ٢٠٠٦م.
٩- الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر، للدكتور عبدالفتاح الحموز، دار عمّار، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
١٠- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.
١١- اللسانيات، جان بيرو، ترجمة الحواس مسعودي، ومفتاح بن عروس، نشر دار الآفاق ٢٠٠١م.
١٢- اللغة العربية بين المعيارية والوصفية، للدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠١م.
١٣- مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، شرح وتحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة، ٢٠١٧م.
١٤- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، تأليف: د. مهدي المخزومي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م.
١٥- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
١٦- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، المؤلف: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
١٧- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
١٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. عبداللطيف الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
١٩- مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، عطا محمد موسى، ط١، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢م، ١٩٥.
٢٠- منهج البحث اللغوي بين وعلم اللغة الحديث، د/ علي زوين، بغداد ، دار شئون الثقافة العامة، ١٩٨٦م.
٢١- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، للدكتور نوزاد حسن أحمد، دار دجلة، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٢٢- النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، للدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.